مصائب الحرب

وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ

يشتغل بأعمال هذه الحرب — حرب المدنية — عشرات ألوف الالوف من الرجال ومئات الالوف من النساء كان أكثرهم يشتغل بأعمال الزراعة والصناعة والتجارة فيكثرون من نتاج الارض، ومن ايصال حاج بعض الناس الى بعض، فيعم به الرخاء وغضارة العيش، ويزداد المال في أيدي الناس، وقد قدر عدد قتلى المعارك في أربع سنين بعشرة آلاف الف وعدد المشوهين من الجراح بخمسة وعشرين أو ٣٠ الف الف وحل محلهم مثلهم أو أكثر منهم، فتضاعفت خسارة البشر بالحرمان من فوائد أعمالهم، فنقصت الاموال والثمرات بنقص الانفس، ثم بهلاك الكثير منهما ومن الانفس بحرب الغواصات التي ابتدعتها مبتدعة أكثر رزايا التدمير والتقتيل — ألمانية — فقد رقت صناعة هذه السفن الغواصة حتى صارت تحمل المدافع، وتقطع تحت الماء ألوفا من الاميال والفراسخ، وحيثما التقت بسفينة تحمل عروض التجارة، أو تنقل الناس من بلد الى آخر، أرسلت عليها وابلا من قذائف المدافع أو سهاما من الطوربيل، فجعلتها كعصف مأكول، لا تفرق بين سفن المحاربين وسفن الامم التي على الحياد، ولا بين حاملة الجنود وعدد الحرب وحاملة العروض وأهل السلم من الرجال والنساء والاولاد، أرادت بذلك أن تحرم انكلترة وأحلافها من ثمرات سيادة البحار، بعد ان شدد هؤلاء عليها خناق الحصار، فآذت الامم كلها، وأكثرت من عدد أعدائها

كانت جوائح الغواصات سببا في اشتداد الضيق وامتداد الغلاء الفاحش الى جميع أقطار الارض. وقد كان هذا القطر المصري في السنتين الاولى والثانية من سني الحرب أقل الاقطار غلاء وأكثرها رخاء لان أرضه زراعية خصبة يمكنها أن تنتج من الاقوات ما يزيد عن حاجة أهلها، وكان المخزون فيه مما يرد اليه من الخارج كالفحم

الحجري والانسجة والمواد والادوات اللازمة للزراعة والصناعة كثيرا وثمنه معتدلا، وقد غلا ثمن القطن منذ السنة الثانية فربحت البلاد عشرات من الملايين قضت منها كثيرا من ديونها . فلما اشتد حرب القواصات قل كل ما يرد من الخارج وتضاعفت أثمانه أضعافا ، وتبع ذلك غلاء غلات البلاد وموادها حتى بلغ ثمن اردب القمح في الشتاء الماضي خمسة جنيهات ، ويباع الآن الرطل المصري من السمن بأربعة عشر قرشا وخمسة عشر ، وبلغ ثمن أقة زيت الزيتون أربعين قرشا فصار مساويا للسمن بعد اشتداد غلاء السمن وكان قد زاد عنه، الا أنه قد ورد منه أخيرا على الاسكندرية عدة قناطير من كريت فنزل الثمن قليلا. ورطل اللحم البلدي يباع في القاهرة بثمانية أو تسعة قروش ، وأقة العنب بيعت بأربعة قروش فخمسة فستة ، وقس عليه سائر الفاكهة

وقد سعرت الحكومة المصرية أكثر مواد الغذاء ، فكان تسعيرها اياها سببا لزيادة الغلاء، ولم نر أهل هذه البلاد اتفقوا على مخالفة الحكومة وعدم الاكتراث لها بشيء كما فعلوا في تسعير الاقوات. فمن الثابت انها لم تنقص من ثمن شيء الا وزادوا فيه عما كانوا يبيعونه به قبل تسعيرها اياه، اللهم الا زيت البترول فهو الذي استطاعت الحكومة أن تنفذ أمرها فيه تنفيذا مطردا. وقد كان ثمن رطل اللحم قبل تسعيره ٦ قروش أو ٦ ونصف قرش فلما رفعته الحكومة الى هذا القدر ارتقى سعره كما علمت. وكان ثمن رطل السمن ٩ فصار بعد جعلها اياه نحوا من ذلك بزهاء ضعفيه. وكان ثمن أقة زيت القطن المكرر كثمن رطل السمن فصار شأنه شأن السمن في التسعير والغلاء. وقس على ذلك سائر الاشياء

وأما ما يرد الى القطر من الخارج فقد تضاعفت أثمانه الى ما شاءت أطماع تجاره التي لا حد لها ، فتضاعف ربحهم وعظمت ثروتهم ، وكلما غلوا في الغلاء ، غلا أهل الغنم والثراء في الشراء، وقد بلغنا ان أغنى أمم الارض من الاوربيين والامريكيين ترك موسروها في أثناء هذه الحرب جميع ما يعد في العرف من الكماليات، واكتفى الاغنياء منهم بالحاجيات، ومن دونهم بالضروريات، حتى ترك أكثرهم شرب الخمور التي كان بعضهم يعدها ضرورية، وكسدت عندهم تجارة الترف والزينة، وشذ أغنياء هذا القطر، فاشتد تباريهم في اتخاذ الحلي والحلل، وتنافسهم في الاثاث والرياش، وأرهق من دونهم من أهل الطبقة الوسطى عسرا ، فنسأله تعالى أن يجعل لهم مع هذا العسر يسرا .